الترغيب والترهيب والنظر في العواقب

الباحثة/ نايلة بنت رزيق بن مرزوق السفياني

من سبل اكتساب الأخلاق الحميدة، والتنزه عن الأخلاق المذمومة، كما يراها الشيخ ابن سِعدي–رحمه الله–

الترغيب والترهيب من الأساليب القرآنية المندرجة –تحت مسمى باب التقابل –وهو من أساليب البلاغة العربية، وأسلوب الترغيب والترهيب، بارز في القرآن. وهو من أهم الأساليب القرآنية الداعية لامتثال القيم والأخلاق والنظر في العواقب الدنيوية والأخروية والسبب في ذلك أنه وكما ذكر الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القرآن الكريم أنه: "كتاب تعليم يزيل الجهالات المتنوعة، وكتاب تربية يقوم الأخلاق والأعمال، فهو يُعلم ويُقوِّم ويهذب ويؤدب بأعلى ما يكون من الطرق، التي لا يمكن للحكماء والعقلاء أن يقترحوا مثلها، ولا ما يقاربها"[1].وقد أشار الشيخ ابن سِعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الدوافع الأساسية من الترغيب والترهيب في القرآن فقال:–"الحكمة مع الترغيب، يوجب الرغبة، والحكمة مع الترهيب يوجب الرهبة."[2] ثم يبين الشيخ ابن سِعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الله ﷻ قد حذرنا ترهيبا وترغيبا لنتمثل عبادتي الخوف والرجاء بحقيقتها ولتكون دافعة لنا في الاستمرار والعمل والالتزام فيقول: "أعاد تعالى تحذيرنا نفسه رأفة بنا ورحمة لئلا يطول علينا الأمد فتقسو قلوبنا، وليجمع لنا بين الترغيب الموجب للرجاء والعمل الصالح، والترهيب الموجب للخوف وترك الذنوب، فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[3] فنسأله أن يمن علينا بالحذر منه على الدوام، حتى لا نفعل ما يسخطه ويغضبه"[4].

ويقول الشيخ ابن سِعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والنفوس لا تلتفت إلى منافعها، ولا تترك أغراضها الصادَّة لها عن الحق علما وعملا إلا مع البيان لها أن ترغب وترهب بذكر ما

(١)تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ابن سعدي، المجموعة الكاملة، (١٩/٣).
(٢)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، المجموعة الكاملة، (١٨٧/٢).
(٣)سورة آل عمران (آية: ٣٠).
(٤)تيسير الكريم الرحمن،ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص:١٢٨).

يترتب على الحق من المنافع وعلى الباطل من المضار، والموازنة بين الأمور النافعة والضارة"[١].

والترغيب يشمل نعيم الدنيا والآخرة وسعادتهما، والترهيب كذلك يشمل نقمة الدنيا والآخرة وشقائهما، فقد وعد الله المؤمنين الصادقين بالاستخلاف في الأرض، والعزة والحياة الطيبة والجنة في الآخرة، وتوعد العاصين بالخزي والذل وضنك المعيشة في الدنيا والآخرة وبنار الجحيم في الآخرة. ويوضح ذلك الشيخ ابن سِعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: "من علوم القرآن: علم أهل السعادة والخير وأهل الشقاوة والشر، وفي معرفته لهم ولأوصافهم ونعوتهم فوائد الترغيب في الاقتداء بالأخيار، والترهيب من أحوال الأشرار، والفرقان بين هؤلاء وهؤلاء، وبيان الصفات والطرق التي وصل بها هؤلاء إلى دار النعيم، ووصل بها أولئك إلى دار الجحيم، ومحبة هؤلاء الأتقياء من الإيمان، كما أن بغض أولئك من الإيمان، وكلما كان العبد أعرف بأحوالهم تمكن من هذه المقاصد"[٢].

ولا شك أن العلوم في أهل السعادة وأهل الشقاء لها مآلات ونهايات، ولذلك قال الشيخ ابن سِعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن علوم القرآن: علم الجزاء في الدنيا والبرزخ والآخرة على أعمال الخير وأعمال الشر، وفي ذلك مقاصد جليلة: الإيمان بكمال عدل الله وسعة فضله والإيمان باليوم الآخر، فإن تمامَ الإيمان بذلك يتوقف على معرفة ما يكون فيه، والترغيب والترهيب والرغبة في الأعمال التي رتب الله عليها الجزاء الجزيل، والرهبةُ من ضدها"[٣].

ولا غرو في ذلك فالقرآن الكريم كتاب دعوة وهداية وإرشاد في الأساس، وهذا الأسلوب من أنجع الأساليب في الدعوة إلى التحلي بمكارم الأخلاق والابتعاد عن مساوئها؛ لاعتماده على عنصري الثواب والعقاب، اللذين علم الله –سبحانه– من طبيعة البشر أنهما يشكلان حافزًا قويًّا؛ للإقبال على كل ما هو نافع، والانكفاف عن كل ما هو ضار. يقول الشيخ ابن سِعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «فتح الرحيم»: "القرآن الكريم كتاب تعليم وإرشاد، وكتاب تربية على أكمل الأخلاق، وأحسن الآداب، وأسمى الأوصاف، حث عليها بكلِّ وسيلة، وزجر عن ضدها، لا يوجد خلق كامل وإلا وقد دلّ عليه القرآن، ولا أدب حميد إلا وقد دعا إليه وبيّنه"[٤].

(١)تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ابن سعدي، المجموعة الكاملة، (٣٢٠/٣).
(٢)القواعد الحسان في تفسير القرآن، ابن سعدي، المجموعة الكاملة، (٤٤٩/٣).
(٣)المرجع السابق، (٤٥٠/٣).
(٤)ابن سعدي، المجموعة الكاملة، (٨٢٤/٣).

مجالات الترغيب والترهيب:

أولًا: الترغيب والترهيب بجزاء الآخرة:

الترغيب والترهيب من أهم وسائل الجزاء، ولعل من أهم الوسائل المتعلقة بالترغيب؛ ترغيب الجزاء سواء في الدنيا أو الآخرة ومن أنواع هذا الترغيب ما يأتي:

١- الترغيب بمحبة الله:

الترغيب الإخبار عن الفعل والعمل بأن الله -تعالى- يحبه أو يحب فاعله أو فضله؛ وهذا من أفضل المرغبات للأعمال والمحفزات للانقياد ومثاله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[١] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢] وكذلك قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[٣]ففي هذه الآيات يذكر الله ﷻ بعض الأعمال التي تدخل في باب الأخلاق وذكر الله جزاء إقامة هذا الفعل الحب منه لمن يقوم بهذه الأعمال ويمتثلها ولذلك يؤكد الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أكثر من موضع من مؤلفاته أثر حب الله للعبد في امتثال الأوامر واجتناب النواهي ومما ذكره في هذا الباب قوله " فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد"[٤].

٢- الترغيب بالحصول على رضوان الله سبحانه:

من أكثر ما يدعو المؤمنين للقيام بالأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة هو ما يطمعون ويرغبون فيه من الحصول على مرضات الله ﷻ، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله تَبَارَكَوَتَعَالَى يقول: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده أبدا))[٥] فرضى الله ﷻ كان القصد

(١)سورة آل عمران (آية: ١٣٤).

(٢)سورة آل عمران (آية: ١٤٦).

(٣)سورة التوبة (آية: ١٠٨).

(٤)تيسير الكريم الرحمن،ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص:٢٣٥).

(٥)رواه البخاري حديث رقم (٦٥٤٩)، (١١٤/٨)،ورواه مسلم حديث رقم (١٨٣)، (١٦٧/١).

الأكبر لدى سيدنا محمد ﷺ، وفي ذلك يقول الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ "الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنات النعيم في دار القرار، التي فيها من كل ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وتختار، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا، ويرضون عن ربهم بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ووافر المثوبات، وجزيل الهبات، ورفيع الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاهم غاية، ولا فوقه نهاية"(١).

٣- الترغيب بمغفرة الذنوب:

من أظهر طرق الكتاب والسنة في الترغيب مغفرة الذنوب وسعة رحمة الله ﷻ وعفوه؛ فإن الإنسان إذا اجتهد في إصلاح نفسه وتهذيبها بالأخلاق الحميدة فإنه قد وُعد بتبديل سيئاته حسنات. وهذا من أهم الأمور المرغبة في امتثال الأخلاق الحميدة والسعي لتطبيقاتها في النفس والجسد، قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لما ذكر جزاء الكافرين، ذكر جزاء المؤمنين؛ أهل الأعمال الصالحات، على طريقته تعالى في القرآن يجمع بين الترغيب والترهيب، ليكون العبد راغبا راهبا، خائفا راجيا"(٢).

٤- الترغيب بمضاعفة أجر العمل:

من عظيم كرمه سبحانه وترغيبه لعباده الصالحين للقيام بالأعمال الصالحة والأخلاق النبيلة مضاعفة الأجور والزيادة فيها وهذا ما أشار إليه الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن الترغيب من الله سبحانه في مضاعفة أجور الأعمال من أهم وسائل ترغيب النفس وتحفيزها فيقول في تفسير قول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٣) ."هذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا المثل، الذي كان العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان، فتنقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها مؤملة لهذه المضاعفة الجزيلة والمنة الجليلة، ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ هذه المضاعفة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: بحسب حال المنفق وإخلاصه وصدقه وبحسب حال النفقة وحلها ونفعها ووقوعها موقعها، ويحتمل أن يكون ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ أكثر من هذه المضاعفة ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ فيعطيهم أجرهم بغير حساب ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ الفضل، واسع العطاء، لا ينقصه نائل ولا يحفيه سائل، فلا يتوهم المنفق

(١)تيسير الكريم الرحمن،ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص:٨٤٨).
(٢)تيسير الكريم الرحمن،ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص:٤٦).
(٣)سورة البقرة (آية: ٢٦١).

أن تلك المضاعفة فيها نوع مبالغة، لأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء ولا ينقصه العطاء على كثرته، ومع هذا فهو ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق هذه المضاعفة ومن لا يستحقها، فيضع المضاعفة في موضعها لكمال علمه وحكمته"[1].وهذا من أدعى الأمور المحفزة لامتثال الأخلاق الحميدة إذ إن من فطرة الإنسان ومستلزمات نفسه حب الزيادة والمضاعفة فيما يحصل عليه.

٥- الترغيب بتبديل السيئات حسنات:

وهذا من أعظم المكرمات التي أنعم الله بها على عباده المؤمنين بعد صدق توبتهم، أنه يبدل سيئاتهم حسنات لترغب نفوسهم في بذل الطاعات والالتزام بأخلاقياتها. وأن لا يكون ندمهم على ذنوبهم مثبطا لهم يقول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2] ويوضح الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى هذه الآية فيقول: "أي: تتبدل أفعالهم وأقوالهم التي كانت مستعدة لعمل السيئات تتبدل حسنات، فيتبدل شركهم إيمانا ومعصيتهم طاعة وتتبدل نفس السيئات التي عملوها ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة وإنابة وطاعة تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية، وورد في ذلك حديث الرجل الذي حاسبه الله ببعض ذنوبه فعددها عليه ثم أبدل مكان كل سيئة حسنة فقال: يا رب إن لي سيئات لا أراها هاهنا"[3].

٦- الترغيب بالأجور الكاملة والأمن الذي لا يكدره خوف:

وهذا من أعظم الأمور التي يتمناها العبد وتدعوه نفسه لذلك فرغب الله ﷻ عباده وطمأنهم بأن ما يقدمون من عمل سيكون كامل غير منقوص وأنهم لن يهضموا حقوقهم ولن يصيبهم الظلم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ﴾[4] ويقول ﷻ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[5] وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[6] ويقول جل وعلا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ

(١)تيسير الكريم الرحمن،ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص:١١٢).
(٢)سورة الفرقان (آية: ٧٠).
(٣)تيسير الكريم الرحمن،ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص:٥٨٧).
(٤)سورة آل عمران (آية: ٥٧).
(٥)سورة النساء (آية: ١٢٤).
(٦)سورة طه (آية: ١١٢).

كَٰتِبُونَ ﴾[1]. وقد فصل الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أنواع الأمن ومقاره التي قد يمتن الله بها على المؤمنين فقال: "الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا بشرك، ولا بمعاصٍ، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء"[2].

٧- الترغيب بالنعيم المقيم:

وهذا غاية المطلوب وأصل المقصود أن يعيش الإنسان نعيما مقيما لا انقطاع فيه ولا زوال يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[3] يُفسِّر الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآية فيقول: "فيهنئون أكمل تهنئة ويبشَرون أعظم بشارة، وذلك أنهم يبشَرون بدخول الجنات ورضى ربهم ورحمته ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ وإذا كانوا خالدين في الرحمة، فالجنة أثر من آثار رحمته تعالى، فهم خالدون فيها بما فيها من النعيم المقيم والعيش السليم، في جوار أرحم الراحمين"[4].

وفي المقابل فإن هناك الكثير من أنواع الترهيب التي ذكرها الله ﷻ كجزاء من يخالف أمره، ويسيء خُلقه. ويقوم بما لا يرضيه، ولعل من أهم الوسائل المتعلقة بالترهيب بالجزاء في الآخرة ما يأتي:

١- الترهيب بغضب الله وبغضه والطرد من رحمته:

فالله ﷻ يرهب من الأفعال والأخلاق السيئة بأن فعلها سبب لغضبه من الفاعل وبغضبه من العمل، وأن الله قد لعنه وضاعف عقابه.قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5]، يقول الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "هذا من باب الاستبعاد، أي: من الأمر البعيد أن يهدي الله قوما اختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا وشهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات البينات والبراهين القاطعات ﴿وَٱللَّهُ لَا

(١)سورة الأنبياء (آية: ٩٤).
(٢)تيسير الكريم الرحمن،ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص:٢٦٣).
(٣)سورة آل عمران (آية: ١٠٧).
(٤)تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص:١٤٢).
(٥)سورة آل عمران (آية: ٨٦).

يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فهؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه، واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلما وبغيا واتباعا لأهوائهم، فهؤلاء لا يوفقون للهداية، لأن الذي يرجى أن يهتدي هو الذي لم يعرف الحق وهو حريص على التماسه، فهذا بالحري أن ييسر الله له أسباب الهداية ويصونه من أسباب الغواية، ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية والأخروية، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾[1] أي: لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا لحظة، لا بإزالته أو إزالة بعض شدته، ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾[2] أي: يُمهلون، لأن زمن الإمهال قد مضى، وقد أعذر الله منهم وعمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، فلو كان فيهم خير لوُجد، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه"[3] وهذا غاية الترهيب والتحذير.

٢- الترهيب بالخلود في النار:

ومن طرق الترهيب: الإخبار عن العمل المتضمن لسوء الخلق بأنه موجب للدخول في النار؛ كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4] وهذا الترهيب جعله الله جزاء للكفر والشرك فقد قرن الخلود في النار بالشرك يقول الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن المعصية في الشرك توجب الخلود في النار، وسخط الجبار، وذلك اليوم هو اليوم الذي يُخَافُ عذابُه، ويُحَذرُ عقابُه؛ لأنه من صرف عنه العذاب يومئذ فهو المرحوم، ومن نجا فيه فهو الفائز حقا، كما أن من لم ينجُ منه فهو الهالك الشقي"[5].

٣- الترهيب بالعذاب المهين:

ومن الترهيب من الأخلاق المذمومة والأفعال السيئة أنها سبب للعذاب المهين لصاحبها يقول تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[6].

إذ جعل الله الإهانة في العذاب جزاء لمن أهان أوامره وزواجره وجعلها أمرًا هينًا ولم يعظمها ولم يجلها ولم يقم بها ولذلك يعقّب الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على عذاب الله المهين بقوله: "لما بين لهم الصراط المستقيم، وزاغوا عنه اختيارا ورضى بطريق

(١)سورة البقرة (آية: ١٦١).
(٢)سورة البقرة (آية: ١٦٢).
(٣)تيسير الكريم الرحمن،ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص:١٣٧).
(٤)سورة البقرة (آية: ٣٩).
(٥)تيسير الكريم الرحمن،ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص:٢٥١).
(٦)سورة النساء (آية: ١٤٠).

الغي على طريق الهدى والرشد، عوقبوا بأن أزاغ الله قلوبهم، وجعلهم حائرين في طريقهم، ولما أهانوا آيات الله ورسله أهانهم الله بالعذاب المهين"[1].

ثانيا: الترغيب والترهيب ببيان المصالح والمفاسد:

من طرق الترغيب والترهيب بيان المصالح والمفاسد، ومعناه الترغيب في العمل ببيان محاسنه ومصالحه العاجلة في الدنيا، والترهيب من الشيء ببيان مفاسده وعاقبته السيئة في الدنيا، وهو طريق يتبع الطريق الأول؛ ويقصد بالمصالح الدنيوية كالمصالح والمفاسد الطبية والصحية، والعقوبات الإلهية الدنيوية كالمسخ والخسف والزلازل والمحن؛ والمفاسد الأخلاقية والاجتماعية من إثارة العداوة والبغضاء والطلاق وتضييع الأولاد والتقصير في حقهم، والمفاسد الاقتصادية من تضييع الأموال، وإفساد الممتلكات وغير ذلك، ومما لا شك فيه بأن "حقيقة المصلحة هي التي تصلح بها أحوال العباد وتستقيم بها أمورهم الدينية والدنيوية"[2]، وقد أشار الشيخ ابن سِعدي لمعنى المصلحة والمفسدة ضمن منظومته التي نظمها بقوله:

الدينُ مبْنيٌّ على المصالح	في جلبها والدرءِ للقبائحِ
فإنْ تزاحَمْ عَددُ المصالحِ	يُقدّمُ الأعلى من المصالحِ
وضِدُّهُ تزاحمُ المفاسِدِ	يُرتَكبُ الأدنى من المفاسِدِ[3]

والمعنى أن المصالح: كل ما فيه جلب منفعة أو دفع مضرة، والمفاسد: كل ما يضر بالناس في دينهم أو دنياهم أفرادًا أو جماعات، ووجه عِظمها: أن مبنى الشريعة على تحصيل المصالح وتكميلها، ودفع المفاسد، وتقليلها، يقول العز ابن عبد السلام[4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[5] فتأمل وصية الله بعد ندائه، فلا تجد إلا خيرًا يحثك عليه أو شرًا يزجرك عنه، أو جمعًا بين الحث والزجر، وقد أبان الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه ما في

(١)القواعد الحسان لتفسير القرآن، ابن سعدي، المجموعة الكاملة، (٤٥٩/٣).

(٢)تيسير الكريم الرحمن،ابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص:٣٨٨).

(٣)منظومة القواعد الفقهية، ابن سعدي، المجموعة الكاملة، (٢٠٣/٢٦).

(٤)هو محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، ابن المهذّب، شرف الدين، أبو عبد الله، ابن شيخ الإسلام عزّ الدين أبي محمّد ابن عبد السلام، السلميّ، الدمشقيّ، الشافعيّ. ولد بدمشق سنة خمس وستّمائة، ان شيخا جليلا فقيها أصيلا رئيسا فاضلا، من بيت العلم. وله مجالس في الوعظ.، ومات بمصر في يوم الأحد سادس عشرين شعبان سنة إحدى وثمانين وستّمائة، ودفن بتربة والده بالقرافة. ينظر: المقفى الكبير: تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ-١٤٤٠م) المحقق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦ م، (٤٧/٦).

(٥)سورة البقرة (آية: ١٠٤).

بعض الأحكام من المفاسد، حثًا على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثًا على إتيان المصالح"[1].

عوامل نجاح أسلوب الترغيب والترهيب:

١- الموازنة والاعتدال:

والمتأمل في آيات القرآن يجد أن الله -تعالى- كثيرا ما يورد آية نعيم ثم يردفها بآية عذاب، وكذلك يورد آية عذاب ثم يتلوها بآية نعيم؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2] وقال تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[3] وقد علل الشيخ ابن سعدي أهمية هذا الأمر ومدى تأثيره على النفوس بقوله " لأن النفوس لا تلتفت إلى منافعها، ولا تترك أغراضها الصادَّة لها عن الحق علما وعملا إلا مع البيان لها أن ترغب وترهب بذكر ما يترتب على الحق من المنافع وعلى الباطل من المضار، والموازنة بين الأمور النافعة والضارة"[4].

٢- مخاطبة العاطفة:

حيث يعتمد أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن والحديث النبوي لإثارة الانفعالات وتربية العواطف الوجدانية، فهي المحرك والدافع الأقوى للسلوك، والمغذية لطاقات الإنسان، وعن طريق إثارة هذه الدوافع يبلغ الهدف من الترغيب والترهيب مقصوده. لأن عاطفة الحب والخوف من أكثر العواطف التي تؤثر على الإنسان وتشكل دوافعه ومعظم قراراته. يقول الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الخوف والرجاء،... إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عُمِّر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يُخاف منها وتُحذر؛ كأحوال القبر وشدته، وأحوال الموقف الهائلة، وصفات النار المفظعة، وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب؛ بكل ما يقدر عليه. ومنها: أنه يعرف بذلك فضل الله وعدله في المجازاة على

(١)قواعد الأحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عزالدين عبدالعزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (المتوفي: ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٤١٤هـ-١٩١٩م، (١١/١).

(٢)سورة النازعات (الآيات: ٣٧، ٣٨، ٣٩،٤٠،٤١).

(٣)سورة الإسراء (آية: ٥٧).

(٤)تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ابن سعدي، المجموعة الكاملة، (٣٢٠/٣).

الأعمال الصالحة والسيئة، الموجبة لكمال حمده والثناء عليه بما هو أهله. وعلى قدر علم العبد بتفاصيل الثواب والعقاب، يعرف بذلك فضل الله وعدله وحكمته"[١].

٣- المناسبة للأحوال والحاجة:

إنَّ أحوالَ الناس وأهواءهم مختلفة متضاربة وأمراضهم متنوعة، وقد بين الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أهمية تحين الفرص والحرص على حال المدعو فقال: إن دعوة الخلق – سواء المسلم والكافر – إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح بالحكمة أولًا كما أمر الله بذلك، والحكمة هي: أن كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، فالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين؛ فإن انقاد بالحكمة وإلا؛ فبالدرجة الثانية، وهي الدعوة بالموعظة الحسنة، والموعظة الحسنة هي: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب... ثم إذا كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى ضلال؛ فبالدرجة الثالثة، وهي المجادلة بالتي هي أحسن، وهي الطريق التي تكون أدعى للاستجابة عقلًا ونقلًا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي يعتقدها؛ فإنه أقرب إلى حصول المقصود[٢]

٤- مراعاة الأولويات:

فمراعاة الأولويات من أهم وسائل الترغيب والترهيب بحيث يُقدم الأمر الأهم على المهم والأصل على الفرع، فتُقدم أمور العقائد على غيرها من العبادات والأخلاق، وتُقدم الفروض على المندوبات والنوافل، والمحرمات على المكروهات، والمصالح العامة على المصالح الخاصة عند التعارض. وقد ذكر الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا أصل عظيم عندما تحدث عن قصة موسى مع الخضر وما حصل من قتل الغلام فقال: "القاعدة الكبيرة الجليلة هو أنه "يدفع الشر الكبير بإرتكاب الشر الصغير، ويراعي أكبر المصلحتين، بتفويت أدناهما، فإن قتل الغلام شر، ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما، أعظم شرا منه، وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته؛ وإن كان يظن أنه خير، فالخير ببقاء دين أبويه، وإيمانهما خير من ذلك، فلذلك قتله الخضر، وتحت هذه القاعدة من الفروع والفوائد، ما لا يدخل تحت الحصر، فتزاحم المصالح والمفاسد كلها، داخل في هذا"[٣]. وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك بقوله: "القاعدة العامة فيما إذا

(١)تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، (ص:٣٧).
(٢)ينظر: تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، (ص:٤٥٢).
(٣)المرجع السابق، (ص:٤٨٢).

تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد. فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فيُنظر في المعارض له"[1].

٥- مراعاة المآلات:

وما يترتب على استخدام الترغيب الترهيب بأن يوازن بين ما يحصل من مفاسد، وما يترتب على ترهيبه من مصالح، إذ لابد أن تكون المصلحة الترهيبية راجحة على المفسدة؛ لأن هذا هو الذي يحبه الله ويرضاه وبهذا بعثت الرسل وأُنزلت الكتب، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك فيقول: "فإن الأمر والنهي متضمنا وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأمورًا به بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة"[2]. ويؤكد الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الأصل والغاية التي يرغب في تحصيلها من المدعو هي "اجتماعهم على دينهم ومصالحهم الدينية والدنيوية"[3].

(١)الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، (ص:١٢).

(٢)المرجع السابق، (ص:١٢).

(٣)وجوب التعاون بين المسلمين، ابن سعدي، المجموعة الكاملة، (١١٦/٢٦).